دور العلوم الإنسانية في التصدي للعولمة والتغريب

أ.م. د. عبد الرحمن إبراهيم حمد الغنطوسي
الجامعة العراقية – كلية التربية

الملخص

لقد كثر الحديث عن العولمة والتغريب في السنوات العشر الأخيرة من القرن العشرين ، فتناولتها بالحديث الأوساط الجامعية والإعلامية والتيارات الفكرية والسياسية المختلفة، وأصبحت حديث الاجتماعيين والفلاسفة الأوربيين وعلماء البيئة والطبيعة وكثرت أعداد الندوات والمؤتمرات والمحاضرات التي تحمل عناوينهما "العولمة" أو النظام العالمي الجديد أو المتغيرات الدولية الجديدة أو الكونية. نقول لدين في العلوم الإنسانية رجال ومفكرين ، وإنهم نماذج شامخة، وأطواد راسخة في العلم والتقوى، وأعلام بارزة في العلم والفقه والفتوى، فضائلهم لا تُجارى، ومناقبهم لا تُبارى، وقفوا في وجه العولمة والتغريب وهؤلاء العلماء هم المعتنين بالدليل والأثر ولقد صدرت كثير من المؤلفات باللغات الأوربية والعربية التي تتناول ظاهرة العولمة والتغريب ، لدرجة أن المرء يكاد يحار في كيفية دراسة هذه الظاهرة والإلمام بموضوعها، خاصة أن كل كاتب أو متحدث يتناولها بالدراسة والتحليل من جانب معين مثل الجانب الاقتصادي أو الثقافي أو السياسي أو الإعلامي. ولكن سيكون إن شاء الله تقسيم البحث إلى ثلاثة مطالب نقف في المطلب الأول على مفهوم العولمة في كتب المعاجم والاصطلاح ونخصص المطلب الثاني التغريب عند علماء اللغة والاصطلاح أما المطلب الثالث فيتناول موقف الشريعة السمحاء من ظاهرة العولمة والتغريب وتصديها لهما .

Abstract

There has been much talk about globalization and Westernization in the last ten years of the twentieth century, Vtnoltha talking university and media circles intellectual, political and various currents, and become the talk of social philosophers Europeans and environmentalists and nature, and multiplied the number of seminars, conferences and lectures that carry Anawanhma "globalization" or the New World Order or international changes new or cosmic. We say to the religion of the men and thinkers, the humanities, and they are tall models, Otoad well established in science and piety, a prominent and flags in science and jurisprudence and the fatwa, their virtues are not commercial, and Mnaqubhm unrivaled, and stood in the face of globalization and westernization, and these scientists are carers evidence and impact and have exported many of the compositions languages European and Arab dealing with the phenomenon of globalization and westernization, so much so that one almost wonders how to study this phenomenon and knowledge of the subject matter, especially that every writer or speaker addressed by the study and analysis of a particular aspect such as economic, cultural or political or media side. But it will be, God willing, be divided into three demands we stand in the first demand on the concept of globalization in the books of lexicography and terminology and dedicate second requirement of alienation when the term linguists The third demand deals with the position of the Shari'a of the phenomenon of globalization and westernization, and their response to them.

مُقَدِّمَة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه أما بعد: فقد جاء الإسلام بتعاليمه السمحة ، ومبادئه القويمة، ومقاصده العظيمة ، ليحفظ للناس دينهم ، ويوفر كرامتهم، ويصون لهم حقوقهم وضروراتهم ، ويرشدهم إلى ما ينفعهم في دينهم ودنياهم .وقد كانت العولمة والتغريب من الأفكار التي تعتدي على نفوس الناس وعقولهم بغير حق وانتهاكًا لحرماتهم ، وأمنهم ومصالحهم ، كان لزاما أن تتضافر الجهود للمدافعة والقضاء عليهما ، صيانة لضرورات الناس ، وأمنهم ومصالحهم ، وحماية لهم من تبعات الأفكار الهدامة وآلامها وشرورها. لقد كثر الحديث عن العولمة والتغريب في السنوات العشر الأخيرة من القرن العشرين ، فتناولتها بالحديث الأوساط الجامعية والإعلامية والتيارات الفكرية والسياسية المختلفة، وأصبحت حديث الاجتماعيين والفلاسفة الأوربيين وعلماء البيئة والطبيعة وكثرت أعداد الندوات والمؤتمرات والمحاضرات التي تحمل عناوينهما "العولمة "أو النظام العالمي الجديد أو المتغيرات الدولية الجديدة أو الكونية. نقول لدين في العلوم الإنسانية رجال ومفكرين ،وإنهم نماذج شامخة، وأطواد راسخة في العلم والتقوى، وأعلام بارزة في العلم والفقه والفتوى، فضائلهم لا تُجارى، ومناقبهم لا تُبارى، وقفوا في وجه العولمة والتغريب وهؤلاء العلماء هم المعتنين بالدليل والأثر، والمتحلين بالاعتدال والوسطية، والحريصين على إصلاح المجتمع ، والنصح لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم، وعلى الرغم من حصول زوابع، وهبوب عواصف العولمة والتغريب ، وهيجان أمواجهما ،و تعرض الأمة إلى الكثير من جوانب الخلل العقدي والفكري والأخلاقي، و ما تموج به الساحة من فوضى الاجتهاد عند بعض المتعالمين، في أطروحات عرجاء، ومداولات ممجوجة، والقول على الله بغير علم، والتلاعب بالحلال والحرام حسب الأهواء، وأمام هذا الطوفان الهائج من العولمة والتغريب، وغياب العلماء الراسخين، وتصدر الرويبضة، ونطق أنصاف المتعلمين فما كان من هذا إلا أن يظهر الطراز المتميز من العلماء والمفكرين في الاجتهاد وحسن التوجيه، لتماسك بنية المجتمع، والحفاظ على أمن الأمة بصوره المتعددة، وجوانبه المختلفة، والدعوة إلى المنهجية المنضبطة بضوابط الشريعة، حتى تعبر سفينة الأمة بأمانٍ في بحر الفتن المتلاطم، وسير المحن المتفاقم، إلى شاطئ السلامة وبر النجاة، وحتى يسد الطريق أمام المصطادين في الماء العكر،أن دين الله محفوظ، وشريعته باقية، وخيره يفيض ولا يغيض، فأعلام الديانة مرفوعة وَعَلَمُ هذا الدين يحمله من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين .ولقد صدرت كثير من المؤلفات باللغات الأوربية والعربية التي تتناول ظاهرة العولمة والتغريب ، لدرجة أن المرء يكاد يحار في كيفية

دراسة هذه الظاهرة والإلمام بموضوعها، خاصة أن كل كاتب أو متحدث يتناولها بالدراسة والتحليل من جانب معين مثل الجانب الاقتصادي أو الثقافي أو السياسي أو الإعلامي.ولكن سيكون إن شاء الله تقسيم البحث إلى ثلاثة مطالب نقف في المطلب الأول على مفهوم العولمة في كتب المعاجم والاصطلاح ونخصص المطلب الثاني التغريب عند علماء اللغة والاصطلاح أما المطلب الثالث فيتناول موقف الشريعة السمحاء من ظاهرة العولمة والتغريب وتصديها لهما والحمد لله رب العالمين

الباحث

المطلب الأول
تعريف العولمة عند أهل اللغة والاصطلاح

إن الدارسين المهتمون بقضية العولمة متفقون تقريباً على أنّ الكلمة جديدة ولكنّ ما تصفه ليس بجديد، بل يرى بعضهم أنّ السير نحوها بدأ منذ مئات السنين.ولقد أصبح مصطلح العولمة متداولاً منذ بداية التسعينات،وأصبح علماً على الفترة الجديدة التي بدأت بتدمير جدار برلين عام ١٩٨٩م وسقوط الاتحاد السوفييتي وتفككه، وانتهت بتغلّب النظام الرأسمالي الغربي على النظام الشيوعي، وانفراد الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة العالم المعاصر(١).العولمة في كتب المعاجم اللغوية تأتي من ثلاثي مزيد، يقال: عولمة على وزن قولبة،وكلمة "العولمة " نسبة إلى العَالم بفتح العين- أي الكون، وليس إلى العِلم -بكسر العين- والعالم جمع لا مفرد له كالجيش والنفر، وهو مشتق من العلامة على ما قيل، وقيل: مشتق من العِلم، وذلك على تفصيل مذكور في كتب اللغة. فالعولمة كالرباعي في الشكل فهو يشبه (دحرجة) المصدر، لكن (دحرجة) رباعي منقول، أمّا (عولمة) فرباعي مخترع إن صح التعبير وهذه الكلمة بهذه الصيغة الصرفية لم ترد في كلام العرب،والحاجة المعاصرة قد تفرض استعمالها، وهي تدل على تحويل الشيء إلى وضعية أخرى ومعناها: وضع الشيء على مستوى العالم وأصبحت الكلمة دارجة على ألسنة الكتاب والمفكرين في أنحاء الوطن العربي(٢). ويرى الدكتور أحمد صدقي الدجاني أن العولمة مشتقة من الفعل عولم على صيغة فوعل واستخدام هذا الاشتقاق يفيد أن الفعل يحتاج لوجود فاعل يفعل، أي أنّ العولمة تحتاج لمن يعممها على العالم. وننّبه إلى أن مجمع اللغة العربية بالقاهرة قرّر إجازة استعمال العولمة بمعنى جعل الشيء عالمياً. والعولمة ترجمة لكلمة Mondialisation الفرنسية، بمعنى جعل الشيء على مستوى عالمي، والكلمة الفرنسية المذكورة إنّما هي ترجمة "Globalisation" الإنجليزية التي ظهرت أولاً في الولايات المتحدة الأمريكية، بمعنى تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل الكل (٣). فهي إذا مصطلح يعني جعل العالم عالمًا واحدًا، موجهًا توجيهًا واحدًا في إطار حضارة واحدة، ولذلك قد تسمى الكونية أو الكوكبة (٤). ومن خلال المعنى اللغوي يمكننا أن نقول بأنّ العولمة إذا صدرت من بلد أو جماعة فإنها تعني: تعميم نمط من الأنماط التي تخص ذلك البلد أو تلك الجماعة، وجعله يشمل الجميع أي العالم كله. جاء في المعجم العالم الجديد ويبستر " WEBSTER " أنّ العولمة "Globalisation" هي: إكسابُ الشيء طابعَ العالمية،وبخاصة جعل نطاق الشيء، أو تطبيقه،عالمياً(٥).العولمة إذاً من حيث اللغة كلمة غريبة على اللغة العربية ويقصد منها عند الاستعمال- اليوم- تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله. وفي العقل العربي المسلم ، يعرفها بعض الباحثين بأنها: (التداخل الواضح لأمور الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة والسلوك دون اعتداد يُذكر بالحدود السياسية للدول ذات السيادة أو انتماء إلى وطن محدد أو لدولة معينة ودون الحاجة إلى إجراءات حكومية.والعولمة ترتبط في أذهان الكثير من الناس بالتقدم والرقي والانفتاح

الاقتصادي، ومع أن مفهوم العولمة لا يقتصر على الجانب الاقتصادي بل يشمل الجوانب الاجتماعية والبيئية، والثقافية،والسياسية،إلاّ أنّ الجانب الاقتصادي هو أبرز مظاهر العولمة [٦].ومن الجدير بالذكر أن تعبير "العولمة" في التداول السياسي قد طرح من قبل كتاب أمريكان في السبعينات وبالتحديد من كتاب "ماك لولهان وكينتين فيور:"حول "الحرب والسلام في القرية الكونية"، وكتاب "بريجسكي: "بين عصرين– دور أمريكا في العصر الإلكتروني .هذا تعريف شامل للعولمة، وكل جانب من جوانب العولمة سواء الجانب السياسي، أو الأقتصادي، أو الثقافي له أنشطته وجهود تحقيقه التي يتبناها دعاة العولمة [٧].واصطلاحاً: إن كلمة العولمة جديدة، وهي مصطلح حديث لم يدخل بعد في القواميس السياسية والاقتصادية. وفي الواقع يعبر مصطلح العولمة عن تطورين هامين هما: التحديث (Modernity، الاعتماد المتبادل Inter–dependence)، ويرتكز مفهوم العولمة على التقدم الهائل في التكنولوجيا والمعلوماتية، بالإضافة إلى الروابط المتزايدة على كافة الأصعدة على الساحة الدولية المعاصرة [٨].

لقد ظهرت العولمة أولاً كمصطلح في مجال التجارة والمال والاقتصاد، ثم أخذ يجري الحديث عنها بوصفها نظاماً أو نسقاُ أو حالة ذات أبعاد متعددة، تتجاوز دائرة الاقتصاد، فتشمل إلى جانب ذلك المبادلات والاتصال والسياسة والفكر والتربية والاجتماع والأيديولوجيا.وقد أطلق على العولمة بعض الكتاب والمفكرين "النظام العالمي الجديد"– New World Order– وهذا المصطلح استخدمه الرئيس الأمريكي جورج بوش–الأب– في خطاب وجهه للأمة الأمريكية بمناسبة إرساله القوات الأمريكية إلى الخليج (بعد أسبوع واحد من نشوب الأزمة في أغسطس ١٩٩٠م) وفي معرض حديثه عن هذا القرار، تحدّث عن فكرة :عصر جديد، وحقبة للحرية، وزمن للسلام لكل الشعوب. وبعد ذلك بأقل من شهر أشار إلى إقامة (نظام عالمي جديد) يكون متحرراً من الإرهاب، وأكثر أمنا في طلب السلام، عصر تستطيع فيه كل أمم العالم أن تنعم بالرخاء وتعيش في تناغم [٩].وربّما يوحي هذا الإطلاق– النظام العالمي الجديد– بأن اللفظة ذات مضامين سياسية بحتة، ولكن في الحقيقة تشمل مضامين سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية وتربوية، بمعنى آخر تشمل مضامين تتعلق بكل جوانب الحياة الإنسانية. ولقد فرضت العولمة نفسها على الحياة المعاصرة، على العديد من المستويات، سياسياً واقتصادياً، فكرياً وعلمياً، ثقافياً وإعلامياً، تربوياً وتعليمياً. يقول الرئيس الأمريكي السابق كلينتون: "ليست العولمة مجرد قضية اقتصادية بل يجب النظر إلى أهمية مسائل البيئة والتربية والصحة" [١٠]. والنظام العالمي الجديد هو في حقيقة أمره وطبيعة أهدافه، نظامٌ صاغته قُوى الهيمنة والسيطرة لإحداث نمط سياسي واقتصادي واجتماعي وثقافي وإعلامي واحد وفرضه على المجتمعات الإنسانية كافة، وإلزام الحكومات بالتقيّد به وتطبيقه.ولقد كثرت التعاريف التي توضح معنى العولمة، نذكر هنا بعضاً منها، ثم اذكر التعريف الذي أرى أنّه يعبر عن المعنى الحقيقي

لظاهرة العولمة.ومن هذه التعريفات العولمة هي: " العملية التي يتم بمقتضاها إلغاء الحواجز بين الدول والشعوب، والتي تنتقل فيها المجتمعات من حالة الفرقة والتجزئة إلى حالة الاقتراب والتوحد، ومن حالة الصراع إلى حالة التوافق، ومن حالة التباين والتمايز إلى حالة التجانس والتماثل، وهنا يتشكل وعي عالمي وقيم موحدة تقوم على مواثيق إنسانية عامة".

والمواثيق الإنسانية الواردة في هذا التعريف هي المواثيق التي يصنعها الغرب وأساسها نظرة علمانية مادية للوجود لتحقيق مصالحه الخاصة، ثم تصدر للعالم على أنها مواثيق إنسانية لصالح البشرية، ولا بأس أن تصدر بها القرارات الدولية من هيئة الأمم المتحدة باعتبارها مؤسسة حامية للحقوق الإنسانية [١١]*"هي تعاظم شيوع نمط الحياة الاستهلاكي الغربي، وتعاظم آليات فرضه سياسياً واقتصادياً وإعلامياً وعسكرياً، بعد التداعيات العالمية التي نجمت عن انهيار الاتحاد السوفيتي وسقوط المعسكر الشرقي" أو هي "محاولة لفرض الفلسفة البراجماتية النفعية المادية العلمانية، وما يتصل بها من قيم وقوانين ومبادئ وتصورات على سكان العالم أجمع".هي" العمل على تعميم نمط حضاري يخص بلداً بعينه هو الولايات المتحدة الأمريكية بالذات على بلدان العالم أجمع" وهي أيضاً أيديولوجياً تعبر بصورة مباشرة عن إرادة الهيمنة على العالم وأمركته". أي محاولة الولايات المتحدة إعادة تشكيل العالم وفق مصالحها الاقتصادية والسياسية، ويتركز أساسا على عمليتي تحليل وتركيب للكيانات السياسية العالمية، وإعادة صياغتها سياسيا واقتصاديا وثقافيا وبشريا، وبالطريقة التي تستجيب للمصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية [١٢].* العولمة : منظومةً من المبادئ السياسية والاقتصادية، ومن المفاهيم الاجتماعية والثقافية، ومن الأنظمة الإعلامية والمعلوماتية، ومن أنماط السلوك ومناهج الحياة، يُراد بها إكراه العالم كلِّه على الاندماج فيها، وتبنّيها، والعمل بها، والعيش في إطارها.

وبعد دراسة متأنية لظاهرة العولمة وأهدافها ووسائلها وتأثيراتها في واقع المجتمعات والشعوب يمكن أن تعرف العولمة بما يلي:

" العولمة هي الحالة التي تتم فيها عملية تغيير الأنماط والنظم الاقتصادية والثقافية والاجتماعية ومجموعة القيم والعادات السائدة وإزالة الفوارق الدينية والقومية والوطنية في إطار تدويل النظام الرأسمالي الحديث وفق الرؤية الأمريكية المهيمنة، والتي تزعم أنها سيدة الكون وحامية النظام العالمي الجديد [١٣].

والشيء الذي لابد من الوقوف عنده كثيراً هو أنّ العولمة كظاهرة اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية ترتبط أساسا بالمفهوم الاقتصادي الرأسمالي– وفق الرؤية الأمريكية– في مراحله المتطورة،إن لم يكن في أعلى حالات تطوره، أو لنقل سيطرته على الاقتصاد العالمي وبالتالي السيطرة على كافة أشكال ومظاهر التطور الإنساني.

المطلب الثاني
مفهوم التغريب

مفردة التغريب: وردت عند العلماء القدامى ،وقد اختلف الفقهاء في ماهية التغريب، فقال مالك وأبو حنيفة إن التغريب معناه الحبس، فيحبس المغرَّب في البلد الذي يغرب إليه مدة لا تزيد على سنة، فالتغريب عند المالكيين والحنفيين معناه الحبس في بلد غير البلد الذي وقعت فيه الجريمة [١٤].ويرى الشافعى وأحمد أن التغريب معناه النفي من البلد الذي حدث فيه الزنا إلى بلد آخر، على أن يراقب المغرَّب بحيث بالمراقبة فى البلد الذى غرب إليه، ولا يحبس فيه، فالتغريب عند هو الوضع تحت المراقبة في بلد آخر. ومن هذا الرأى الظاهريون.ويشترط بعض الفقهاء فى التغريب أن يكون لمسافة لا تقل عن مسافة القصر. ويرى البعض أن يكون النفى من عمل الحاكم إلى عمل غيره دون التقيد بمسافة معينة، فلو نفى إلى قرية تبعد عن محل الحادث ميلاً لكفى، كما يجوز أن ينفى من مصر إلى مصر لأن النفى ورد مطلقًا فيتناول أقل ما يقع عليه الاسم [١٥].والمقصود من المراقبة أن يمنع الزانى من العودة إلى بلدة قبل انتهاء المدة، أو إلى ما دون مسافة القصر على رأى البعض، ويرى البعض أن المراقبة مقصود بها إلزام المغرَّب بالإقامة فى البلد المغرب إليه، فلا يُمكَّن من الضرب فى الأرض[١٦].وقد أخذت الدول الأوروبية بنظرية التغريب وطبقتها في قوانينها، فإنجلترا مثلاً كانت تبعد المحكوم عليهم إلى أمريكا وإلى أستراليا، ثم اضطرت إلى العدول عن الإبعاد بعد اعتراض سكان المستعمرات. والقانون الفرنسي الصادر في سنة ١٨١٠ يجعل الإبعاد عقوبة تساعد على التخلص من السياسيين المناوئين للنظام القائم. كذلك جعل القانون الفرنسي من الإبعاد طريقة لتنفيذ عقوبة الأشغال الشاقة في المستعمرات وجعل منه عقوبة تكميلية للمجرمين العائدين. والقانون الإيطالي يبيح لوزير العدل أن يأمر بتنفيذ عقوبة الأشغال الشاقة أو السجن في إحدى المستعمرات.

والتغريب في المفهوم الحديث والمعاصر هو تيار فكري كبير ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنية، يرمي إلى صبْغ حياة الأمم بعامة، والمسلمين بخاصة، بالأسلوب الغربي، وذلك بهدف إلغاء شخصيتهم المستقلة وخصائصهم المتفردة وجعلهم أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية[١٧].

التأسيس وأبرز الشخصيات: بدأ المشرقيون في العالم الإسلامي مع نهاية القرن الثامن عشر ومطلع التاسع عشر بتحديث جيوشهم وتعزيزها عن طريق إرسال بعثات إلى البلاد الأوربية أو باستقدام الخبراء الغربيين للتدريس والتخطيط للنهضة الحديثة ، وذلك لمواجهة تطلع الغربيين إلى بسط نفوذهم الاستعماري إثر بدء عهد النهضة الأوربية [١٨]. وقد استقدم السلطان سليم الثالث المهندسين من السويد وفرنسا والمجر وانجلترا وذلك لإنشاء المدارس الحربية والبحرية .و قام محمد علي والي مصر ، والذي تولى سنة ١٨٠٥م ، ببناء جيش على النظام الأوروبي ، كما عمد إلى ابتعاث خرجي الأزهر من أجل التخصص في أوروبا .و أنشأ أحمد باشا باي الأول في تونس جيشا نظاميا ، وافتتح مدرسة للعلوم الحربية فيها ضباط وأساتذة فرنسيون وإيطاليون وإنجليز . والسبيل الحقيقي للحكم على

مدى التغريب؛ هو أن تتبين إلى أي حد يجري التعليم على الأسلوب الغربي، وعلى المبادئ الغربية، وعلى التفكير الغربي... هذا هو السبيل الوحيد ولا سبيل غيره، وقد رأينا المراحل التي مر بها طبع التعليم بالطابع الغربي في العالم الإسلامي، ومدى تأثيره على تفكير الزعماء المدنيين، وقليل من الزعماء الدينيين [١٩].والهدف من حملة التغريب هو إخراج المسلمين من دائرة فكرهم بما يخلق شعوراً بالنقص في نفوسهم وذلك بالتأثير في النفس والمزاج والروح الإسلامي لإخراجها جميعاً من مفاهيمها ومواريثها وفرض أعراف جديدة عليها مخالفة لها في الأصل مباينة لها في الجذور.وفي مواجهة هذا علينا أن نعرف بأن هناك عالمين منفصلين: قد يؤثر أحدهما في الآخر ولكنهما لا يمتزجان أبداً ولا يخضع أحدهما للآخر، ولا يستوعب أحدهما الآخر ولا يحتويه، هما عالم الإسلام المتميز بطوابعه ومفاهيمه وقيمه وعالم الغرب.والفكر الإسلامي له من جذوره العميقة وأصوله العريقة ما يجعله قادراً دوماً على التماس التجدد دون أن يفقد الأصالة [٢٠].والخطر كله يتمثل في بعض المفكرين من العرب الذين يفكرون من داخل دائرة الفكر الغربي ويتحركون خارج إطار الفكر الإسلامي ومن هنا تأتي أخطاؤهم ويأتي عجز نظرتهم عن أن ترى الأفق الواسع الممتد [٢١].والمقصود بمفهوم التّغريب هو ما تبنّاه كثير من المفكّرين في تلك الأيام، وهو الدّعوة إلى الأخذ عن الغرب، ومحاولة تقليده في شتّى الأمور من أجل التّطوّر والتّقدّم. واعتبر بعضهم أنّ هذا المفهوم هو الظّاهر للتّغريب فقط، وأوجدوا لهذا المفهوم تعريفاً آخر، أظهروا فيه غاية وأهداف هذا التّيّار، في دعوته للأخذ عن الغرب. فقد عرّف بعضهم هذا التّيّار بأنّه تيّار يرمي إلى " خلق عقليّة جديدة تعتمد على تصوّرات الفكر الغربيّ ومقاييسه ثمّ تحاكم الفكر الإسلاميّ والمجتمع الإسلاميّ من خلالها، بهدف سيادة الحضارة الغربيّة، وتسييدها على حضارات الأمم، ولا سيّما الحضارة الإسلاميّة". وبعضهم قال إنّ التّغريب هو المذهب الّذي كان يدعو إلى الجديد، وهو " كلّ طريف طارئ علينا، مما هو منقول في معظم الأحيان عن الأوروبيّين [٢٢]. وسطية تنبه الناس أنها ليست تحارب التطرف الديني فحسب ، بل تحارب أيضا التطرف في الأفكار والأمور الأخرى لأن مثل هذا النوع من التطرف قد أحدث كثيراً من المشكلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية في العالم الإسلامي ، فعلى سبيل المثال : التغريب هو النوع المثالي من أشكال التطرف ، فكثير من الغربيين أو من دعاة التغريب يعدون مقاومة الثقافات الخليعة وأساليب الحياة الساقطة في العالم الإسلامي انتهاكا بحقوق الإنسان وتدخلا في حرية الآخرين ، وهذه مؤامرة وكيد على الإسلام ، وفي الحقيقة هؤلاء هم المتطرفون أنفسهم ، وفعلهم هذا هو التطرف عينه

المطلب الثالث

موقف الشريعة الإسلامية من العولمة والتغريب

بدأ التغريب في العالم الإسلامي مع ابتعاث بعض المفكرين إلى أوربا ، أمثال رفاعة الطهطاوي الذي ابعث إلى باريس وأقام فيها خمس سنوات ١٨٢٦/١٨٣١م ، وكذلك ابتعث خير

الدين التونسي إليها وأقام فيها أربع سنوات ١٨٥٢ – ١٨٥٦م ، فعادا يبشران بضرورة بناء المجتمع العربي على أساس أفكار ونهج المجتمعات الغربية.

وبعد ذلك بدأت حركة ترجمة كتب المفكرين الغربيين ، أمثال فولتير ، وروسو ، ومونتسكيو، لتكريس المفاهيم الأوربية في العقول العربية .

وبعد ذلك أنشأ كرومر كلية فيكتوريا بالإسكندرية لتربية جيل من أبناء النخبة ، نخبة المجتمع ، في أجواء الثقافة الإنجليزية ، ليكونوا أداة المستقبل في نقل ونشر الحضارة الغربية.

ثم ظهرت حركة جمال الدين الأفغاني ١٨٣٨–١٨٩٧م ، وبعد الشيخ محمد عبده ١٨٤٩ – ١٩٠٥م وكانا على صلة بالمستر بلنت البريطاني ، وكان محمد عبده له صداقة خاصة باللورد كرومر ، وقد عمل محمد عبده على تأويل نصوص الشريعة لتلائم المفاهيم الغربية ،أقل خطرا من حكم الطغيان والاستبداد وكان من زعماء هذا التيار : قاسم أمين الذي نادى بخروج المرأة على القيم الإسلامية تحت عنوان: تحرير المرأة[٢٣]. إنهم لا يريدون حماية المرأة المسلمة ولا المجتمع المسلم من تقلبات الدهر وتغير الأيام. كلا والله ولو كانوا جادين ومخلصين لهذا الهدف النبيل لوجدوا في شريعة الله الغنى والكفاية ولكن سعيهم لأمر أدنى وهدف أرخص وهو التشريع للجريمة وإفساد المرأة المسلمة تحت شعار الكفر المسمى " العولمة الحداثية" في جانبها الاجتماعي. وخلاصتها: إزالة الحدود والحواجز في جميع المجالات بما فيها الثقافية (أي الدينية والعقدية) والاجتماعية وغير ذلك. مما له خطره على المجتمعات الإسلامية).سمات العولمة الحديثة في وعظ قوم موسى من المؤمنين لقارون ، فنجد من سمات العولمة في سورة القصص مقومات العولمة العلمية التي هي في عصرنا ثورة المعلومات والاتصالات والتقنيات في جواب قارون لقومه: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ ونجد رياء العولمة وتبخترها وتكبرها في مثل ما نجده في صفة قارون في سورة القصص في قوله تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ﴾.

ونجد إعجاب بعض الجهلة بالعولمة التي لا يدرون مآلها ومآلهم معها من قوله تعالى في السورة نفسها :﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (١)، وفي عصرنا تكفلت وسائل الإعلام كلها بتحبيب نموذج العولمة للأذهان ، فصار الناس يتشدقون : إن العولمة في هذا العصر هي (الحظ العظيم) ، وهذا ما وسوسه الشيطان الرجيم ــ لعنه الله بلعنته ــ في قلوب الناس .لقد أصبح حَمَلة العلمانية الوافدة في بلاد الشرق بعد مائة عام من وفودهم تياراً واسعاً منفذاً غالباً على نخبة الأمة وخاصتها في الميادين المختلفة، من فكرية واجتماعية.

إن السعي الدؤوب لإزالة أو زعزعة مصادر المعرفة والعلم الراسخة في وجدان المسلم ، والمسيرة المؤطرة للفكر والفهم الإسلامي في تاريخه كله ، من خلال استبعاد الوحي كمصدر للمعرفة والعلم ، أو تهميشه – على الأقل – وجعله تابعاً لغيره من المصادر كالعقل والحس ، وما

هذا إلا أثر من آثار الإنكار العلماني للغيب ، والسخرية من الإيمان بالغيب ، واعتبارها – في أحسن الأحوال – جزء من الأساطير والخرافات والحكايات الشعبية ، والترويج لما يسمي بالعقلانية والواقعية والإنسانية ، وجعل ذلك هو البديل الموازي للإيمان في مفهومه الشرعي الأصيل ، وكسر الحواجز النفسية بين الإيمان و الكفر ، ليعيش الجميع تحت مظلة العلمانية في عصر العولمة . وفي كتابات " محمد عابد الجابري " و" حسن حنفي " و" حسين مروة " و" العروي " وأمثالهم الأدلة على هذا الأمر . وصم الإسلام بالأصولية والتطرف وممارسة الإرهاب الفكري ، عبر غوغائية إعلامية غير شريفة ولا أخلاقية ، لتخويف الناس من الإلتزام بالإسلام ، والاستماع لدعاته ، وعلى الرغم من وقوع الأخطاء – وأحياناً الفظيعة – من بعض المنتمين أو المدعين إلى الإسلام ، إلا أنها نقطة في بحر التطرف والإرهاب العلماني الذي يمارس على شعوب بأكملها ، وعبر عقود من السنين، لكنه عدم المصداقية والكيل بمكيالين ، إن تمييع قضية الحل والحرمة في المعاملات والأخلاق ، والفكر والسياسة ، وإحلال مفهوم اللذة والمنفعة والربح المادي محلها ، واستخدام هذه المفاهيم في تحليل المواقف والأحداث ، ودراسة المشاريع والبرامج ، أي فك الارتباط بين الدنيا والآخرة في وجدان وفكر وعقل الإنسان، ومن هنا ترى التخبط الواضح في كثير من جوانب الحياة الذي يعجب له من نور الله قلبه بالإيمان، ولكن أكثرهم لا يعلمون .وقد دقت طبول العولمة واعتبارها القدر المحتوم الذي لا مفرمنه ولا خلاص إلا به، دون التمييز بين المقبول والمرفوض على مقتضى المعايير الشرعية ، بل إنهم لَيصرخون بأن أي شئ في حياتنا يجب أن يكون محل التساؤل دون التفريق بين الثوابت والمتغيرات مما يؤدي إلى تحويل بلاد الشرق إلى سوق استهلاكية لمنتجات الحضارة الغربية ، والتوسل لذلك بذرائعيه نفعية محضة لا يسيرها غير أهواء الدنيا وشهواتها .الإسلام دين التسامح والمعايشة ، يقول عليه الصلاة والسلام: (من قتل معاهَدًا لم يَرح رائحةَ الجنة، وإنّ ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا) أخرجه البخاري(١١)[١١]. وهل يعني الولاءُ والبراء ــ يا عبادَ الله ــ اتخاذَ المستأمَنين والمعاهَدين والذمّيين غرضًا للقتل والترويع وسفكِ الدماء وتناثُر الأشلاء؟! يقول جلّ شأنه: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة:٢]، ويقول سبحانه: ﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة:٨]. والآية دليلٌ على سماحةِ الإسلام ويُسره واعتداله وموقفِه المنصفِ من المخالفين. إنّ قضيّة العولمة قضية خطيرة ناجمةٌ عن انحرافٍ وغلوّ، وقد نُهينا عن الغلوّ في الدين لأنّه سبب هلاكِ الأوّلين: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾ [المائدة:٧٧]. والغلوّ مذموم في جانب الوجود والعدم والفِعل والترك، كما أنّ الإرهابَ مذموم في الأسباب والبواعث والمقدّمات والنتائج والأفعال وردود الأفعال، إضافةً إلى أنّ امتطاءَ صَهوةِ التكفير يبعثُ عليها جهلٌ مركَّب في فهم مسائلَ من الدين كالولاء والبراءِ والجهاد والحدودِ والدماء، وقد بلغت حدًّا يوجِب

التصدّي له من قِبَل أهل العِلم بالحجّة والبيان والدليل والبرهان، حراسةً لشبابِ الأمّة الغضّ من الهُويّ في عينِها الحَمِئة والتمرُّغِ في أوحَالها النّتِنة، يقول : (من رمى أخاه بالكفر أو قال: عدوّ الله وليس كذلك إلا حار عليه)(١٢)[١٢]، وقال عليه الصلاة والسلام: (من قال لأخيه: يا كافر فقد باءَ بها أحدُهما) عياذًا بالله، خرّجه مسلم في صحيحه إنَّ على وسائل الإعلام المرئيّة والمسمُوعة والمقروءَة، وعلماءِ الشريعَة الموقِّعين عن ربّ العالمين المؤتمَنين على ميراث النبوّة، والدعاةِ ورجالِ الفكر السليم ، أن يربطوا المسلمين وفِتيانهم بمنهاج الوسطيّة المعتدِلة التي جاءت بها شريعَة الإسلام، ودلّت عليها نصوصُ الكتابِ والسنّة بفهمِ سلَف الأمّة، وتمثّلتها مهبِط الوحي ومنبع الرسالة، فكان أن سَطع بأساطينِ قيادتها نورُ ويؤكَّد هنا ، على التحذير من الجانب المزعوم للإصلاح الذي يركَب مطيتَه بُعض المزايدين على الشريعة وذوي المغامرات الطائشَة والأطروحات المثيرة المتَّسِمة بالمخالفات الشهيرة واللاهثين وراءَ ركوب موجةِ حُبّ الشُهرة والظهور، وقد أوضحَ لنا القرآن الكريم ذلك غايةَ الإيضاح في جانب قومٍ لا خلاقَ لهم من المنافقين بقوله سبحانه: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ** ﴾ [البقرة:١١، ١٢] (٢٤).

أنّ أمّتنا الإسلاميّة لا تزال تتجرّع المآسيَ والحسرات وتتلقّى الويلات والنكبات، القوارعُ تنوشُها من كلّ حدَبٍ وصَوب، والخطوب تؤمُّها من كلّ مضيق وطريق، تبدّدَت قواها، وانقصمت عُراها، وحيثما أجلتَ النظرَ أدمَت عينيك وقرّحت فؤادَك توازعُ الأشلاء ونزيف الدماء واغتصابُ الأرض والعِرض، والعدوّ المتربِّصُ يجدّ في خنق أنفاسِها وتجاهُل قضاياها، ولا مخلِّصَ لها من هذا الذلِّ والهوان إلا الاعتصامُ بالوحيين وأن تتنادَى وتتواصى بالوحدة الإسلامية على مَرِّ الفُرصِ والمناسبات، تحقيقًا لقولِه سبحانه: ﴿ **إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ** ﴾ [الأنبياء:٩٢]، وأن لا تربطَ ولاءاتِها وتوجُّهاتها إلا لعقيدتها ودينها وثوابتها، ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا** ﴾[آل عمران:١٠٣]، ﴿ **وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ [آل عمران:١٣٩](٢٥).

وإنّنا في حاجة ملحّة إلى أن نتمثَّل ذلك كلٌّ بحسَب ثغرِه من الأمانة والمسؤوليّة على كلّ صعيد؛ سياسيًّا وثقافيًّا، فكريًّا واقتصاديًّا، اجتماعيًّا وإعلاميًّا وتربويًّا، ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾ [الرعد:١١]. ولابد من أن تجتمع العقول والهمم لمواجهة الأفكار التغريبية ،يقول – المستشرق الإنجليزي جب الذي ألف كتاب إلى أين يتجه الإسلام الذي يقول فيه: "من أهم مظاهر سياسة التغريب في العالم الإسلامي تنمية الاهتمام ببعث الحضارات القديمة". وقد أعلن في بحثه هذا صراحة أن هدفه معرفة" إلى أي مدى وصلت حركة تغريب الشرق وما هي العوامل التي تحول دون تحقيق هذا التغريب".و عندما دخل اللورد اللنبي القدس عام ١٩١٨م أعلن قائلاً: "الآن انتهت الحروب

الصليبية".و يقول لورنس براون: "إن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام وفي قدرته على التوسع والإخضاع وفي حيويته. إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الغربي". ولهذا فلابد من الدعوة إلى أن يطبع العالم الإسلامي بطابع الغرب الحضاري. إن دعوة تشجيع فكرة إيجاد فكر إسلامي متطور يبرر الأنماط الغربية ومحو الطابع المميز للشخصية الإسلامية بغية إيجاد علائق مستقرة بين الغرب وبين العالم الإسلامي خدمة لمصالحه ، والدعوة إلى الوطنية ودراسة التاريخ القديم والدعوة إلى الحرية باعتبارها أساس نهضة الأمة مع عرض النظم الاقتصادية الغربية عرضاً مصحوباً بالإعجاب، وتكرار الكلام حول تعدد الزوجات في الإسلام وتحديد الطلاق واختلاط الجنسين. بهذه المكائدِ الزيُّوف برح الخفاء، وبانتِ الدعاوى الجوفاء للعولمة والتغريب يائسة ، وأيقن الغيورون على أمةَ التعليم والتربية، مناهجُنا مبَاهِجُنا، هي التي تمثِّل مِحورَ الثمرةِ التعليميّة والتربويّة، وفي ضوئها تتكوّن مداركُ الأجيال واتجاهاتُهم، وبها تُعلَّق الآمال في الإصلاح العقديّ والفكريّ والاجتماعي، وهي ولا ريب من الأهميّة بمكانٍ في الدلالة على رقيِّ الأمّة أو انحدارها. ولئن حدّقنا في مضامينِ تلك المناهج ومعانيها وحلَّقنا فوقَ مفرداتها ومبانيها ألفيناها بحمد الله ومنّه قائمةً على الكتاب والسنّة، مستوحاةً من هدي سلفنا الصالح، مواكبةً لتمدُّن العصرِ وتطوُّرِه، في غيرِ تبعيّة أو ذَيليّة، تقتبِس مِن علوم الحضارةِ المعاصرة ما تؤيّدُه شريعتُنا، وتنبذُ ما سواه. وأمّا الافتراءاتُ التي ألحِقَت بها وحامت حولها فهي أوهى من أن تُتَعقَّب أو تُنقَض، وتحويرُ المناهج وتنقيحُها مما يقتضيه توثُّب العصر ورُقيُّه، وقد درَجت على ذلك الأمَم قديمًا وحديثًا، ولسنا بِدعًا في هذا المرتَقى، فلتقرَّ أعينُ الذين يدوكون ويخوضون فيها بعِلم أو بغير علم أنها بأيدٍ أمينةٍ بإذن الله، مخلِصةٍ لديها وأمَّتها، ولكنَّ المهمَّ في ذلك الإيصاءُ بالحرص على عدَم التعرُّضِ لجوهر العقيدة، والحذَر من المساس بالثوابتِ والأصول، والعناية بتأهيل المعلِّمين والمعلِّمات الذين يتحمّلون أمانةَ التربية والتعليم، ليكونوا قدوةً لطلاّبهم قولاً وعملاً، داخلَ حصونِ التعليم وخارجَها، وأن يُتحرَّى منهم مَن كان على حظٍّ وافر من الدين والنُّضج العقليّ والجانب الخُلقيّ والسّلوكي.ولابد يكون للشباب دور مهم في الإصلاح قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف:١٣]؛ لأنّ إغفالَ قضايا هذه الشريحة المهمّةِ في الأمّة والتجافيَ عن محاورتهم وتوجيههم وإرجاءَ الحلولِ لمشكلاتهم قد يؤدّي بهم إلى فسادٍ عريض في كلّ مزلَقٍ خلقيّ وجنوح سلوكيّ وانحرافٍ فكري [٢٦].يجب تحصينُ الشباب من لوثاتِ العولمة والتغريب والحفاظُ عليهم من تيّارات التطرُّف والغلوّ، وما فواجعُنا التي كابدناها منّا ببعيد، لذا فإنّ الحاجةَ ملِحَّةٌ لأخذهم بحكمةِ العاقل ، واحتضانهم وفتح الصدور لهم بقدرة العاقل الألمعيّ، واستخدامِ أمثل الأساليب التي تُلامس أفئدتهم وتوافق فِطرَتهم لنثوبَ بهم إلى رحابِ الجيل الإسلامي المأمول بإذن الله، ولعلّ ذلك يكون من أولويّات حوارنا الإصلاحيّ الذي نفَحَنا عَبَق أريجة وقام داعيًا إلى منهج الوسطية والاعتدال والمطارحاتِ الشفيفة في الآراء دونَ موارِبة أو أعضاء، وإنّ منهجَ

الحوار ليُحسَبُ للأمّة الإسلاميّة وثبةً فكريّة وحضاريّة تُحكِم نسيجَ الجماعةِ المسلمَة وتعضدُ من وَحدتها وتآلفها، ومنقبَةً شمّاء تستطلِع في شموخٍ آليّاتِ التحدّي داخليًا وخارجيًا في هذا العصر المتفتِّق على متغيّراتٍ خطيرة، لكن ثم لكن لا بدَّ من مراعاة آداب الحوار وضوابطه ومنهجه وأخلاقياته، حتى لا يتحوّل الحوارُ إلى فوضى فكريةٍ تلحِقُ الآثارَ السلبية على البلاد والعباد، وأن لا يتّخَذ الحوار من ذوي المآرب المشبوهة مطيّةً للنيل من المسلَّمات والمساس بالثوابت، سدّد الله الخُطى ومَنى التوفيق. ولوسائل الإعلام النزيهةِ المنصفة من قنوات وشبكاتٍ وصُحفٍ ومجلاّت عبءٌ في بيان وبثِّ قضايا الأمة والسعيِ للدفاع عنها، مع كشف هجماتِ الأعداء المسمومة والوقوف بحزمٍ أمام حملاتهم المحمومة وتصحيحِ المفاهيم المغلوطةِ عن ديننا وعقيدتنا وشريعتنا .أما بعضُ وسائلِ الإعلام والقنوات الفضائيّة المتهتِّكة التي تثير غاراتٍ شعواء من الشهوات والملذّات التي تضرِم نيرانَ الفساد والإفساد وتزلزل معاقِلَ الطُّهر والفضيلة من القواعدِ فإننا نقول لهم أن يتَّقوا الله في قِيَم الأمّة ومُثُلِها وفضائلها، وأن يُبقوا على لُعاعةٍ من حياء لبني الإسلام وديارِه. إنَّ استحواذَ الرذيلة على جوانبَ من حياة الأمة عبرَ تلك القنوات يُعرِّضها لأخطرِ المهالك، ويفضي بها إلى مهاوٍ سحيقة من الظلْم والظّلَم، خصوصًا وأنَّ كثيرًا من القلوب خاوية من اليقين والخشية، وهما خير عاصمٍ من قواصم تلك القيعان الوبيئة. وايم الله، إنّك لتُقضَى أسًى وحسرةً على الأحوال المزرية المسفَّة التي آل إليها أمرُ كثير من الفضائيات وشبكات المعلوماتِ من الدعوة الصارخة إلى الفُحشِ والفضائح وسردِ المخازي والقبائح، في تحطيمٍ أرعن للشرَف والعِفّة والفضيلةِ والأخلاق (٢٧).

قال تعالى :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٨).شريعتُنا الغرّاء كانت ولا تزال الحفيّةَ بالمرأة، الحارسةَ لكرامَتها وعِرضها، الراعيةَ لحقوقها ومكانتها، أمًّا كانت أو بنتًا، زوجةً أو أختًا. والإسلام هو الذي شرَع السُّبُل الكفيلةَ لتحصين شخصيتها ضدَّ كلِّ ما يهدِّد مقوّماتِها من الامتهان والابتذال، خصوصًا في هذا العصر حيثُ سعيرُ المغريات والشهوات واشتدادُ الهجمة على المحصَنات المؤمنات، وقد بات من البدَهيّات أنَّ الذين ينتقصون الإسلامَ من خِلال ما يتظاهرون به من الدفاع عن حقوق المرأة وقضاياها إنما يصدُرون عن فيَضان مشاعرَ مسعورة وأهواء جامحة تريد من المرأة المصونَة أن تكون أداةً طيِّعةً في التقليد والإغراء، وليس وراءَ تلك الدعوات اعتبارٌ لدينٍ أو خُلق أو فضيلة أو رغبةٌ في إنصاف المرأة، وإلا كيف يقبل العقل أن يكون الوقارُ والحِشمَة والحياء في قفَص الاتهام والتنديد والجفاء، والسفورُ والتبرّج مبرّآن من كلّ نقيصةٍ ووصمة .إن مكانة المرأة في الحضارات الغربية، فإنها كانت ولا تزالُ معدودةً مسلاةً لتَرَف الرجُل وبذخِه الغريزيّ والجنسيّ، ومظهرًا لا بدّ منه للبريق الحضاريّ. وبرهانٌ آخر يتجلّى في المنادين والمناديات بالحريّات عمومًا وبحريّة المرأة خصوصًا، أين هؤلاء عن نزعِ حجابها عنوةً في بعض المجتمعات التي يُزعَم أنها مضربُ المثل في صيانةِ

الحريات ومراعاة حقوق الإنسان؟![٢٩].إنَّ الإسلام حين شرع الحجابَ ولزومَ الحياءِ والقرار إنما يصرف المرأةَ إلى خصائصِها ومكانتِها التي لا يُحسِنها سواها، ويراعي ظروفَها وأنوثَتها، لتمضيَ مع الرجل جنبًا إلى جنب في هذا الكون بنظام محكمٍ بديع من اللطيف الخبير، لكلٍّ مقامُه ووظيفته، ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك:١٤]، ﴿ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة:١٤٠] [٣٠].وللواهمين والواهماتِ يُساق القول: إنَّ المرأةَ في مكانتها وبالتزام آداب الحجابِ الشرعية والضوابط المرعيّة لا يمنعها ذلك أن تكونَ في قمّة الحضارةِ والرقيّ وإحراز السَّبق العليّ والتقدّم الاجتماعي والنهوض بأمّتها والانتصار لدينها، وإن اضطُرَّت إلى العمل الوظيفيّ أو المهنيّ ففي منأًى عن أنظار الرجال والاختلاطِ بهم، وأن لا تكون بَرزَةً تنازعهم أقدامَهم وتزاحمهم مناكبَهم، حين ذاك يغيضُ ماؤها ويذهب بهاؤها، فالحذرَ من كلّ دعوةٍ نشاز تريد أن تهبطَ بالمرأة من سماء مجدِها وأن تنزلها من علياء كرامتها وإن بدَت بزخرف القول ومعسول الكلام ودعوى التقدُّميَّة الزائفة والمدنية المزعومة والحرية المأفونة [٣١] والله عزّ وجلّ يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٩]. لذا وجب أن نحفظ أقدارَ العلماء، وأن نلتزم بالصدق والوفاء بالعهد والأمانة والحشمة والصيانة وبرِّ الوالدين وصلةِ الأرحام، وخلاصة القول يمكن أن نقول: إنّ التّغريب هو التّيّار الّذي ظهر نتيجة ظروف معيّنة حلّت بالأمّة العربيّة والإسلاميّة، وكان هذا التّيّار يدعو إلى الأخذ عن الغرب في كلّ المجالات، بهدف التّطوّر والتّقدّم. ولكنّ الدّاعين إلى هذا التّيّار والمدافعين عنه، تطرّفوا في آرائهم، لدرجة رفضهم وتبرّئهم من كلّ ما يمتّ إلى القديم بصلة من قريب أو بعيد، من دين، وتقاليد، وموروثات، وحضارة، ولغة، وأيّ شيء يتعلّق بهذا الماضي. فهؤلاء تصوّروا أنّ التّقدّم والتّطوّر لا يأتي إلّا بترك الماضي وما فيه من خير وشرّ، والأخذ عن الغرب بكلّ ما فيه من خير وشرّ. لذلك نرى أنّ هؤلاء وقعوا في تناقض عجيب حيث كانوا ينتقدون التّقليد واتّباع القديم، وكانوا بنفس الوقت يقلّدون الغرب "فالجديد هو في حقيقة الأمر قديم الأوروبيّين، والّذين يسمّونهم المقلّدين كانوا هم الّذين يقلّدون آباءهم وأجدادهم، في حين أنّ من يُسمّون بالمجددين كانوا هم الّذين يقلّدون الأوروبيّين".[٣٢] أمّا أسباب ظهور هذا التّيّار فأهمّها ، قدوم كثير من البعثات، والإرساليات الغربيّة، إلى الشّرق والّتي جاءت إليه من أجل تحقيق أهداف وغايات خطيرة ظهرت فيما بعد، فكانت هذه الإرساليات مقدّمة لدرس وفهم الشّرق، من أجل تمهيد الطّريق لإحتلال هذه البلاد والسّيطرة عليها واستغلالها ــ وكان لسياسة العثمانيين التّجهيليّة، والتّخلّف الشّديد في كلّ مناحي الحياة، أثر بالغ في توجّه هؤلاء العرب إلى الغرب، والدّعوة إلى اقتباس علومه وحضارته، فانساقوا إلى هذا، دون النّظر إلى غيره، مما أوجد صراعاً بين دعاة الاقتباس عن الغرب، ودعاة المحافظة على القديم.[٣٣] هذا ولنعلم أن التّغريب: بالمعنى الخاصّ الضّيق لهذه الكلمة، أي بمعنى نبذ الشّرق والعرب والإسلام، واللّحاق مباشرة بالمدنيّة الغربيّة، بكلّ

حسناتها وبكلّ سيئاتها. وأبرز من مثّل هذا الاتجاه والمعادي صراحة لكلّ انتماء عربيّ وإسلاميّ وشرقيّ تاريخيّ أو دينيّ أو أدبيّ. ولم يكن العداء للعربيّة الفصحى، ومعركة القديم والحديث، إلّا وجهاً لظاهرة التّغريب بهذا المعنى.لقد كانت مهمة الشريعة الإسلامية هي العناية بحفظ الضروريات الخمس : الدين والنفس والعقل والعرض والمال وهذه من ثوابت الإسلام والحمد لله رب العالمين

الخاتمة والتوصيات

أما بعد :

فبعد كتابة هذا البحث ظهرت لي النتائج الآتية :

- إن غياب العلم الشرعي وتفشي الجهل سبب عظيم لوقوع الفتن والعولمة والتغريب وانتشارها ، فوجبت العناية بطلب العلم الشرعي من مصادره الأصلية الصحيحة .
- عالمية رسالة الإسلام للناس أجمعين ، وهذه إحدى خصائص النبي صلى الله عليه وسلم ، الذي بذل واجتهد في دعوة الناس إلى هذا الدين وتحمل من أجله الأخطار والمتاعب ، وكان بذلك قدوة لأمته .
- ارتباط الأمة بقادتها وعلمائها ورجوعها إليهم من أسباب العز والنصر ، والاستقرار واستتباب الأمن وغير ذلك من الثمار المباركة والنتائج الطيبة .
- يجب على المسلمين عموماً والعلماء خصوصًا بيان شريعة الإسلام وأحكامها السامية العادلة مع الناس عمومًا ومن ذلك المستأمنين ، والرد على المخالفين وبيان وجه الحق والصواب عن طريق الكتاب والمحاضرة والبحث العلمي وغير ذلك .

هوامش البحث:

(١) العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٨م من بحث للدكتور محمد عابد الجابري ، ص ١٣٥

(٢) مفهوم العولمة وقراءة تاريخية للظاهرة: أحمد صدقي الدجاني، جريدة القدس،٢/٦ /١٩٩٨م. ص١٣.

(٣) العولمة–صالح الرقب (ص: ٥)

(٤) القول السديد في وجوب الاهتمام بالتوحيد (ص: ١٥٦) ، ينظر : العولمة–صالح الرقب (ص: ٣)

(٥) د. محمود فهمي حجازي، مجلة الهلال، عدد مارس ٢٠٠١، القاهرة ص٨٧.

(٦) مقاربتان عربيتان للعوامة، ياسر عبد الجواد، المستقبل العربي عدد ٢٥٢ شباط ٢٠٠٠م ص٢.

(٧) حقوق الإنسان من العالمية الإنسانية والعولمة السياسية ، مجلة الموقف الثقافي: باسيل يوسف، العدد ١٠،١٩٩٧م، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ص١٧، ينظر : العولمة .. صالح الرقب : ص٦

(٨) الكفر بالله وأثره في الأرض (ص: ٥٦)

(٩) مخاطر العولمة على المجتمعات العربية: أ.د مصطفى رجب، مجلة البيان ١٣/١٠/٢٠٠٠.

(١٠) العولمة : صالح الرقب : ص١٠

(١١) مفهوم العولمة وقراءة تاريخية للظاهرة: أحمد صدقي الدجاني، جريدة القدس،٢/٦ /١٩٩٨م. ص١٣.

(١٢) الديمقراطية: آثار وثمرات: ٦٠/١ ، انظر العولمة والحياة الثقافية في العالم الإسلامي: الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري

(١٣) العولمة : لمحمد سعيد أبو زعرور : ص١٣

(١٤) دليل العقول الحائرة : ٦/١

(١٥) العولمة : لمحمد سعيد أبو زعرور : ص١٣

(١٦) المصدر نفسه

(١٧) التشريع الجنائي في الإسلام – (٤١٦/٣)

(١٨)المصدر نفسه

(١٩) قضايا الاصلاح والنهضة عند محب الدين الخطيب : ٤٠٠/١

(٢٠) سورة القصص دراسة تحليلية : ١٠٩

(٢١) الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر : ص١٩٠

(٢٢) وسطية الإسلام – (٢١/١)

(٢٣) سورة القصص دراسة تحليلية : ٩٥/٢

(٢٤) العلمانية .. التاريخ والفكرة.. عوض القرني (ص: ١٤)

(٢٥) موسوعة خطب المنبر – (٣١٢٢/١)

(٢٦) موسوعة خطب المنبر : ٣٢٢٢/١

(٢٧) أوراق الملتقى الأول للجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن – (٣٥/١٠)

(٢٨) إرهاب المستأمنين وموقف الإسلام منه – (٥١/١)

(٢٩) صحيح البخاري: كتا الجمعة (٩٦٥)، صحيح مسلم: كتاب الأضاحي (١٩٦١)، واللفظ للبخاري.

(٣٠) إرهاب المستأمنين وموقف الإسلام منه – (٥١/١)

(٣١) أوراق الملتقى الأول للجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن – (٣٥/١٠)
(٣٢) قضايا الإصلاح و النهضة عند محب الدين الخطيب – (٤٠١/١)
(٣٣) قضايا الإصلاح و النهضة عند محب الدين الخطيب – (٤٠٧/١)